الطائف وَوَج
وما بها من آثار النبى صلى الله عليه وسلم والمساجد الأثرية

بقلم : دكتورة سعاد ماهر محمد

الطائف مدينة عريقة في القدم وهي تلي مكة المكرمة من حيث الأهمية واتساع العمران ورفاهية السكان ، ونقل القرآن مقالة الخصوم من قريش فقال : « وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (١) ٠

وقد كانت الطائف في العصر الجاهلي مستقر عبادة اللات التي يشترك معظم العرب في تقديسها ، فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، الكم الذكر وله الأنثى تلك اذاً قسمة ضيزى » (٢) ٠

وكانت اللات عبارة عن صخرة مربعة بالطائف عليها بناء ولها حي وحرم يقصده العرب ويقدمون لها الذبائح (٣) ، وكان حجابها من بني مغيث من ثقيف (٤) يحاولون أن ينافسوا باللات كعبة قريش بمكة ٠ ويقابل اللات عند ثقيف هبل عند قريش ، وهو عبارة عن صنم على صورة انسان كان مصنوعا من العقيق ، وقد كسرت ذراعه فابدله القرشيون بذراع من ذهب ٠

وكان أهل الطائف أصحاب أملاك وبساتين وثراء ورخاء أورثتهم الكبر والبطر (٥) وجعلتهم مصداقا لقوله عز وجل « وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها ، انا بما أرسلتم به كافرون ، وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » (٦) ٠

وقد كثرت القصص والأساطير في تفسير اسم الطائف ، فمن قائل (٧) بأنها كانت في القديم للعمالقة ثم نزلها ثمود ثم سكنها ثقيف ، وهي الآن دارهم سميت به لأنها طافت على الماء في الطوفان · وفي رواية ثانية ، أن الجبريل عليه السلام طاف بها على البيت أو أنها كانت بالشام فنقلها الله تعالى الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه السلام » ويضيف الأرزقي فيقول : ان ابراهيم عليه السلام لما قال : ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم (٩) ، بعث الله عز وجل لدعوته جبريل من ليلته واقتطع الطائف من الشوم من تخوم الأرض (١٠) بعيونها وثمارها ومزارعها وأمره أن يغرس الطائف وكان لها اسم غيره فطاف بها على البيت سبعا ووضعها في مكانها ·

وفي رواية أخرى (١١) ، وأصل الطائف ، أن جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التي كانت لأصحاب الصريم باليمن فسار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث الطائف فسمي الموضع بها · ويضيف البغوي في تفسيره فيقول : « وكانت جنة أصحاب الصريم بستانا دون صنعاء بفرسخين وصاحبها رجل صالح اسمه ضروان وقيل جود » ·

أما الرواية الرابعة (١٢) فهي أقرب الروايات للعقل والمنطق وهي تقول « أن رجلا من الصرف أصاب دما بحضرموت ففر الى (وج) وحالف مسعودا بن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف (١٣) وكان له مال عظيم ، فقال هل لكم في أن أبني طوفا عليكم يكون لكم ردا من العرب فقالوا نعم فبناه وهو الحائط المطيف به (١٤) ، وجاء في القاموس (١٥) المحيط في تفسير معنى الطائف في مادة (طاف) : الطائف بلاد ثقيف اول قراها القيم وآخرها الوهط وهو من أرض الحجاز ·

أما (وج) التي يقرن اسمها دائما باسم الطائف فهي كما يقول العجمي (١٦) ، اسم لحصون الطائف ، أما ابن فهد فيقول نقلا عن أهل اللغة « انه اسم لبلد الطائف كلها » ولكن الصحيح هو ما ورد في القاموس « انه اسم واد بالطائف ما بين جبل المحرق والاصيحرين » ·

أما عن تفسير اسم (وج) فيقول ابن فهد (١٧) : ان وجا كان رجلا من العمالقة فحوط مواليه القرية التي سميت باسمه فضبطوا واديها ما بين الصخور وشيدوا بها القصور وغرسوها أشجارا وفجروها أنهارا · وكان رجلا نجدي الأصل غير أنه اذا رجعت الابل وقت الصيف تطلب المياه ، جام

هو بأمواله فأنزلها مضاحي نجد بقرب (وج) ويتمتع هو أيام الثمر بقرية (وج) . ثم يضيف ويقول : واسم أب وج هذا عبد الحق .

ولعل من أهم الأسباب التي أعطت وج أهمية خاصة بحيث أصبح اسم وج يقرن دائما بالطائف ، ما رواه ابن هشام (١٨) في سيرته ، قول الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه لثقيف لما قدم عليه وفدهم « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله الى المؤمنين أن عضاة وج (١٩) وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئا من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ، فان تعدى ذلك فيبلغ به النبي محمد وان هذا أمر محمد رسول الله ، وكتب خالد ابن سعيد بأمر رسول الله محمد بن عبد الله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله .

وقد شاركت الطائف في العصر الاسلامي في بناء صرح الدولة برجالها الأفذاذ الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومحمد بن القاسم الثقفي فاتح السند والطفيل بن عمرو الروسي ،الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم فصار النور في سوطه ، فهو معروف بذي النور (٢٠) . وأقام الطفيل في بلاده الى عام في شوال من السنة الخامسة من الهجرة ثم قدم في سبعين أو ثمانين رجلا من قومه مسلمين (٢١) .

هذا وقد كان لمدينة الطائف أهميتها وخطرها عند خلفاء الدولة الأموية والعباسية حتى أن الخلفاء كانوا يجعلون عليها ولاة ثقاة من بطانتهم ، وفي ذلك يقول الفاكهي (٢٢) : كان للطائف خطر عند الخلفاء فيما مضى وكان الخليفة يوليها رجلا من عنده ولا يجعل ولايتها الى صاحب مكة .

كما كان الخلفاء يتمنون المصيف بها فمن ذلك قول معاوية بن أبي سفيان لسعيد مولاه « أنعم الناس عيشا يقيظ بالطائف ويشتي بمكة » . بمكة » .

وقد استحوذت الطائف على أفكار المؤرخين ووجدان الشعراء فصنعوا في تاريخها المؤلفات ونظموا في وصف جمالها القصائد ، ففي اعتدال مناخها صيفا يقول الشاعر الأموي عمر بن أبي ربيعة :

تشتو بمكة نعمة　　　ومصيفها بالطائف

كما تغنوا بجمال واديها (٢٣) (وج) وتحدثوا عن ذكرياتهم في جنباته من مثل قول عروة بن حزام :

أحقا يا حمامة بطن وج   بهذا النوح انك تصدقينا
غلبتك بالبكاء لأن ليلي   أواصله وانك تهجعينا
واني ان بكيت بكيت حقا   وانك في بكائك تكذبينا
فلست وان بكيت أشد شوقا   ولكني أسر وتعلنينا
فنوحي يا حمامة بطن وج   فقد هيجت مشتاقا حزينا

★★★

ولعل من أقدم الأثار العمرانية المؤرخة التي تثبت ما كان للطائف من اهمية منذ فجر الاسلام ، ذلك السد الذي أقامه الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٨هـ على بعد تسعة وعشرين ميلا الى الشرق من الطايف ، وما يزال باقيا حتى اليوم ، والذي يعرف باسم (سد ساي سد) ٠ كما يؤكد هذا السد بالدليل المادي مبلغ ما كانت عليه الحضارة الاسلامية في ذلك الوقت المبكر من تقدم وازدهار واهتمامها بالقيام بمثل هذه المشروعات العمرانية في استنباط المياه واقامة السدود لحجزها ٠ والسد مبني من صخور جرانيتية يبلغ طول الجزء الباقي منه الأن (٨٥) مترا ويتراوح ارتفاعه ما بين (٢٥ر١٠) مترا الى (٥ر٨) مترا ٠

وبالقرب من الطرف الجنوبي للسد توجد كتابة كوفية بسيطة ، في اعتقادي أنها أقدم كتابة ، وجدت حتى الأن على أثر عمراني (٢٤) في العصر الاسلامي ونص الكتابة كما يلي :

١ ـ هذا السد لعبد الله معوية (معاوية)
٢ ـ امير المؤمنين نبه (بناه) عبد الله بن خلد (خالد)
٣ ـ باذن الله لسنه ثمن (ثمان) وخمسين ا
٤ ـ للهم اغفر لعبد الله معويه (معاويه) ا
٥ ـ مير المؤمنين ذنبه وانصره ومتع ا
٦ ـ لمؤمنين به كتب عمرو بن حيان

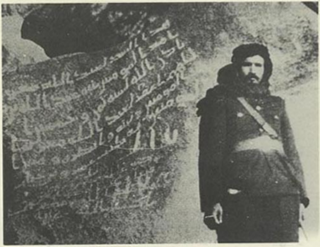

لوحه رقم (١) تبين سد الطائف الذي بناه معاويه بن ابي سفيان سنة ٥٨هـ

وقد نشر هذا النص من قبل الدكتور (جورج مايلز) أمين قسم النميات بنيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية ، الا أنه قد جانبه الصواب في قراءة باني السد فقد قرأه (عبد الله بن صقر) والصحيح هو (عبد الله بن خالد بن أسير بن أبي العبسي القرشي) والي مكة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، فقد جاء في تاريخ معاوية أنه عندما حج حجته الأولى – بعد توليه الخلافة – سنة أربع وأربعين للهجرة طلب من والي مكة عبد الله بن خالد بن أسير بناء هذا السد بالطائف الذي تم سنة ثمان وخمسين في عهد نائب أمير مكة عمرو بن حيان ·

كذلك حظيت الطائف وواديها (وج) ببعض الآثار والمشاهد والمساجد التي يرجع تاريخها الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قبل هجرته الى المدينة المنورة · فمن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم ، لما مات عمه أبو طالب اشتد البلاء عليه فعمد لثقيف (٢٦) رجاء أن يؤووه ، فوجد ثلاثة نفر ، هم سادة ثقيف وهم أخوة : عبد ياليل بن عمرو وحبيب

بن عمرو ، ومسعود بن عمرو (٢٧) ، فعرض عليهم نفسه ، وأعلمهم بما لقي من قومه فقال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك بشيء قط وقال الآخر : أعجز الله أن يرسل غيرك ؟ وقال الثالث : لا أكلمك بعد مجلسك هذا ولان كنت رسول الله لأنت أعظم حقا من أن اكلمك ، ولان كنت تكذب على الله لأنت شر من أن اكلمك (٢٨) ٠ وهزأوا به وأفشوا في قومهم ما راجعوه به وأقعدوا له صفين ، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم جعلوا لا يرفع رجلا ولا يضع أخرى الا رضخوها بحجارة قد كانوا أعدوها حتى أدموا رجليه صلى الله عليه وسلم ٠

فلما خلص منهم عمد الى حائط من حوائطهم فاستظل في ظل نخلة منه وهو مكروب تسيل قدماه بالدماء ٠ واذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما له ٠ فلما رآياه أرسلا اليه غلاما لهما يقال له عداس وهو نصراني من أهل نينوى بالموصل ، ومعه عنب ٠ فلما أتاه عداس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أي أرض أنت يا عداس ، قال من نينوى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، مدينة الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال له عداس ما يدريك من يونس بن متى ٠ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحدا أن يبلغه رسالة ربه فقال أنا رسول الله ، فلما أخبره بما أوحى الله اليه من شأن يونس ، خر عداس ساجدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان دما ٠

فلما أبصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا ، فلما ، أتاهما قالا : ما شانك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ، قال هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله عز وجل يدعى يونس بن متى ٠ فضحكا منه وقالا له : اياك أن يفتنك عن نصرانيتك فانه رجل خداع فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ٠

موقف الرسول أو مسجد الكوع :

ومن الأماكن التي يستحب فيها الدعاء في الطائف موقف (مكان) بجبل أبي زبيدة في طريق الذاهب الى (وج) من جبل يقال له قرين (٣٢) ، وأثر الموقف ظاهر في صخرة بركن المسجد المشهور بمسجد الموقف أو كما يطلق عليه الآن أهل قرية الخدام (٣٣) ، مسجد الكوع ٠ وقد جاء في تحفة الطائف (٣٤) : « ومنها موقف عند وج يقال انه وقف عنده صلى الله عليه

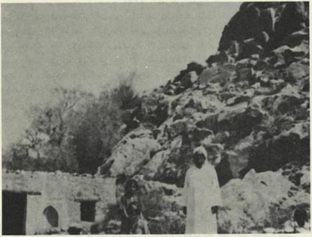

لوحه رقم (٢)
موقف الرسول صلى الله عليه وسلم او مسجد الكوع

وسلم وعنده شجرات سدر وشجرة ذكار وحماط . والى ناحية هذا الموقف بئر يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من مائها . وبجانب الموقف حظيرة يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها » .

ووج التي عندها موقف الرسول صلى الله عليه وسلم واد بالطائف (٣٥). وينقل العبدري في كتابه بهجة المنهج عن أبي الصيف اليمني في وصفها فيقول : ثم يدخل قرية وج ، ويقال أنه صلى الله عليه وسلم شرب من البئر التي في وسط القرية » . ومن نواحي وج الهامة (الخبزة) . « وهذا الوادي ونواحيه جميعها محرم كحرم مكة لا ينفر صيده ولا يعضد شجره » .

ومسجد الموقف أو الكوع مايزال موجودا حتى الآن بوادي وج وقد زرته حديثا في سنة ١٣٩٨هـ ، وان كان بناؤه يرجع الى عهد حديث لعله يرجع الى القرن الماضي ، ولكنه أقيم في نفس الموقف الذي أشارت اليه المراجع السابقة .

وهو عبارة عن زاوية صغيرة تبلغ مساحتها ثمانية أمتار طولا وسبعة

عرضا ويتقدمها ساحة مكشوفة تبلغ مساحتها سبعة أمتار طولا واربعة عرضا · وتتكون الزاوية من قسمين متساويين يبلغ مساحة كل منهما سبعة امتار طولا في أربعة عرضا · وتتكون الزاوية من قسمين متساويين يبلغ مساحة كل منهما سبعة أمتار طولا في أربعة أمتار عرضا بينهما جدار مبني يتوسطه باب معقود تبلغ سعته مترا وارتفاعه مترا يكتنفه نافذتان صغيرتان معقودتان ، الشرقية منهما سدت حديثا · والجزء الجنوبي من الزاوية يحتوي على مدخل الزاوية ، الذي يقع هو والباب المعقود في الجدار الفاصل بين القسمين السابق الاشارة اليه وكذا محراب الزاوية على محور واحد · ويحتوي الجدار الجنوبي للمسجد من الخارج على حنية عميقة بعض الشيء تقع الى الشرق من المدخل الرئيسي للمسجد · وفي اعتقادي أنها محراب خارجي يمكن استعماله اذا ما ضاق المسجد بالمصلين وصلوا في الساحة التي تتقدمه · والى جانب المحراب الخارجي من الجهة الشرقية توجد نافذة صغيرة مربعة الشكل · ويحيط بالساحة التي تتقدم المسجد سور صغير يبلغ ارتفاعه مترا مكون من أربعة مداميك من الحجر الجيري المأخوذ من الجبال المجاورة · ويحتوي السور على فتحتين احداهما في الضلع الجنوبي منه والثانية في الضلع الغربي ، يصعد اليهما بمجموعة من الدرجات حيث ان المسجد على سطح جبل قريب من أسفله ·

أما القسم الثاني الذي يقع الى الشمال من الجزء الأول فيوجد في وسط ضلعه الشمالي محراب المسجد · ويتكون المحراب من تجويف عميق نسبيا ويكتنفه حنيتان صغيرتان تقعان على محور النافذتين في الجدار الفاصل بين القسمين اللذين سبقت الاشارة اليهما · ويوجد في الضلع الغربي لهذا القسم نافذة معقودة · ويغطي المسجد سقف مسطح من أعمدة والواح خشبية حديثة الصنع · ويرتكز السقف على دعامة مربعة يبلغ طول ضلعها (٨٠ سم) وارتفاعها ثلاثة أمتار وهو ارتفاع جدران المسجد ·

وعلى الجملة فان المسجد بسيط وخلو من الزخرف ولكنه يحتوي على كل مقومات المساجد من الناحية المعمارية ·

مسجد الخبزه :

ويقع هذا المسجد عند شجر سدر (بوج) محاذية للخبزة ومن ثم اطلق عليه أهل المنطقة الآن اسم مسجد الخبزه · ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس تحتها حين أتاه عداس بطبق العنب (٣٧) · ويعلق

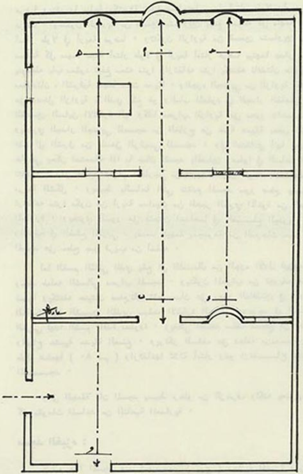
د
أ
حـ
ب
و
سلم
و

مسقط أفقي لمسجد الموقف أو الكوع بالطائف (مقياس الرسم ١:٥٠)

العجمي (٣٨) على تاريخ المرجاني فيقول : « وفيه نظر ، فقد تقدم عن أهل السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم عمد الى ظل نخلة فأتاه عداس بالطبق ، ولكنه يحتمل أنه جلس في ظلال ثم تحول الى السدرة المذكور ويضيف العجمي على ذلك فيقول : وخبر السدرة هذا ان صح فهو دليل على أنه البستان الذي عندها حائط ابني ربيعة الذي دخله صلى الله عليه وسلم ٠ على أن هذه السدرة لم أجد (أي العجمي) من يعلمها ، ولعلها السدرة الموجودة بالمثناه عند العين ، فقد قيل أنها من عهده صلى الله عليه وسلم وان المسجد الذي عندها هو الذي جلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عداس » ٠

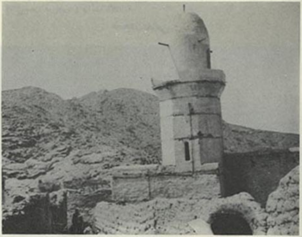

لوحه رقم (٣)
مسجد الخبزة ومئذنته

ويقع المسجد الأن (سنة ١٣٩٨هـ) في بساتين في وج عند أقدام (أم خبر) وهو مربع الشكل تقريبا طول ضلعه (١٢) مترا ٠ ويحيط بالمسجد من جهتين فقط صحن مكشوف ، الجهة الشرقية والجهة الجنوبية ويبلغ عرضه ثلاثة أمتار ٠ ومكان الصلاة مربع الشكل كذلك يبلغ طول

ضلعه تسعة أمتار • والمحراب في الضلع الشمالي للمسجد ويبرز عن سمت الحائط الخارجي بمقدار متر تقريبا • وهو مسجد جامع اذ يحتوي على منبر على يمين المحراب ، كما يحتوي على مئذنة تقع في الركن الجنوبي الشرقي للجامع على يمين المدخل الرئيسي للجامع • وتتكون المئذنة من ثلاث طبقات الأولى مربعة والثانية مثمنة والثالثة مستديرة تنتهي بطاقية ، فهي بذلك تشبه طراز المآذن التي بنيت في مصر واليمن في القرن السابع الهجري ، وليس من المستبعد أن يكون الجامع قد أعيد بناؤه في العصر الأيوبي أو أوائل العصر المملوكي •

ويقع المدخل الرئيسي للجامع في الضلع الجنوبي قريبا من الركن الشرقي للجامع ، ويعلوه عقد ذو ثلاثة فصوص وتعلو عتبه كتابة محصورة في (بحر عريض) زالت الآن •

مسجد عداس :

لوحه رقم (٤)
مسجد عداس

يقع على الأطراف الغربية لبساتين (وج) عند سفح جبل يقال له أبو الأخيلة ، وكان في الأخيلة معبد لعداس ، وهو مسجد المثناه ، وأثر الموقف ظاهر في صخرة بركن المسجد المشهور بمسجد عداس •

والمسجد الآن (سنة ١٣٩٨هـ) مسجد جامع اذ يحتوي على منبر الى

يمين المحراب كما يحتوي على مئذنة ، والجامع مجدد حديثا ·

والى الغرب من مسجد عداس وبالقرب منه جامع آخر يقع على سفح جبل قرين يرجع الى العصر العثماني ويطلق عليه مسجد المثناه ·

مسجد عبد الله بن العباس :

لأهل الطائف اعتزاز كبير بوجود قبر عبد الله بن عباس ومسجده في أرضهم · ولا غرو فابن عباس علم من أعلام الاسلام فهو كما وصفه (٤١) علماء الفقه والشريعة ، الخبر البحر ترجمان القرآن ، مفسر الصحابة وعالمهم بدقائق كلام الله تعالى · ولد عبد الله بن العباس بشعب بني هاشم حين حصرتهم قريش قبل الهجرة بثلاث سنين ، فحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ومسح رأسه وضمه اليه وسماه عبد الله وأخبره أنه من خيار هذه الأمة ، ودعى له بالفقه والحكمة والعلم بكتاب الله تعالى وتأويله وأن يزيده فهما وعلما ويبارك فيه وينسر منه ويجعله من عباده الصالحين · وهو أحد الستة المكثرين للرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الآلاف في الحديث وهم : أبو هريره وابن عامر وجابر وابن عباس وأنس وعائشة (٤٢) ·

وقد كان لابن عباس عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة او خمسة عشرة سنة فروى عن جماعة من الصحابة وروى عنه منهم جماعة منهم أنس بن مالك وأبو أمامة بن سهل وخلق من التابعين (٤٣) · وكان سعد بن أبي وقاص يقول عنه « ما رأيت أحدا أحضر فهما ولا ألب ولا أكثر علما ولا أوسع حلما من ابن عباس رضي الله عنهما » ويضيف سعد فيقول : « ولقد رأيت عمر رضي الله عنه يدعوه للمعضلات فيقول : قد جاءتك معضلة ثم لا يجاوز قوله وان حوله لأهل بدر أنت لها ولأمثالها » (٤٤) ·

وكان علي رضي الله عنه يقول في ابن عباس :

« انه لينظر الى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته » (٤٥) · وقد أمره علي بن طالب على البصرة فكان اذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة وزياد بن أبي سفيان على الخراج وكان أهل البصرة مضبوطين به يفقههم ويعلم جاهلهم · ويعظ مجرمهم ويعطي فقيرهم (٤٦) · ثم فارق عبد الله بن عباس البصرة بعد مقتل علي رضي الله عنه ·

عاش ابن عباس بعد علي رضي الله عنهما خمسة وثلاثين عاما متفرغا

لنشر العلم وكان يقول انا من الراسخين في العلم الذين يعلمونه تأويله (٤٧) . وفي ذلك يقول الذهبي : « روى أنه لم يكن على وجه الأرض في زمانه أحد أعلم منه » . ويقول مسروق (٤٨) : « كنت اذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس واذا نطق قلت أفصح الناس واذا تحدث قلت أعلم

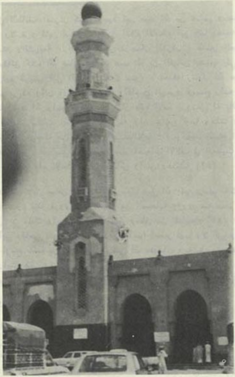

لوحه رقم (٥)
مسجد عبد الله بن العباس

الناس » (٤٩) وقال طاووس (٥٠) : « أدركت خمسين أو سبعين صحابيا اذا سئلوا فخالفوا ابن عباس لا يقومون حتى يقولوا هو كما قلت أو صدقت (٥١) ٠

وكان ابن عباس رضي الله عنه أبيض الوجه وسيما جسيما مشربا بصفرة طويلا صبيح الوجه له وفرة خضبت بالحناء ٠ وكان رضوان الله عنه يلبس الخز ويعتم بعمامة سوداء يرخيها شبرا ٠ وقال (٥٢) ابن عطاء في وصفه : « ما رأيت القمر ليلة البدر الا تذكرت وجه ابن عباس رضي الله عنهما » ٠ وكان جوادا كريما متواضعا صبورا على الأذى يصوم الاثنين والخميس ولا يترك قيام الليل حتى في السفر ٠ قال ابن أبي مليكة (٥٣) : صحبت ابن عباس من مكة الى المدينة فاذا نزل قام شطر الليل فيرتل القرآن ويكثر من النحيب) وعن أبي رجاء (٥٤) قال : « رأيت ابن عباس وأسفل عينيه مثل الشراك البالي من البكاء » ٠

وكان ابن عباس رضي الله عنه يجلس في كل يوم لنوع من العلوم وكان يقول مذاكرة العلم ساعة خير من احياء ليلة ٠ وقد كف بصره رضي الله عنه في آخر عمره وكان ينشد :

ان ياخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
عقلي صحيح وراي غير ذي خلل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقد خرج ابن العباس رضي الله عنهما من مكة عندما دب الخلاف بين عبد الله ابن الزبير وبين الدولة الأموية عندما رفض ابن الزبير مبايعة يزيد بن معاوية وطلب الخلافة لنفسه ، فجاء الى ابن العباس وطلب منه مبايعته ولكن ابن عباس توقف عن المبايعة وقال : « لا أبايعك حتى تجتمع البلاد وتتفق الناس » فغضب ابن الزبير وأخرج ابن العباس من مكة فذهب الى الطائف فسكنها وبقي بها حتى توفى سنة ثمان وستين وقيل احدى وسبعين من الهجرة (٥٥) وقد خرج لهذا السبب أيضا محمد ابن الحنفية (٥٦) بن علي بن أبي طالب وتوفى وقبر بالطائف كذلك سنة احدى وثمانين للهجرة وقيل ثلاث وثمانين وقيل سنة اثنين أو ثلاث وتسعين (٥٧) ٠

المسجد العباسي :

هو اكبر مساجد الطائف ومن أقدمها ، بني مكان مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الذي أقيم بعد غزوة الطائف بعد فراغ النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين ٠ فقد نزل عليه الصلاة والسلام بقرب الطائف (٥٨)

بواد يقال له العقيق فتحصنت ثقيف في حصونهم التي لا مثيل لها في حصون العرب فحاصرهم النبي عليه الصلاة والسلام بضعا وعشرين ليلة وكان معه عليه السلام امرأتان من نسائه هما : أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين ثم صلى بينهما طوال حصاره الطائف .

وفي ذلك الموضع اقيم أول مسجد بالطائف ، تولى بنيانه عمرو بن أميه ابن وهب بن معتب بن مالك الثقفي لما أسلمت ثقيف . ذكره أهل السير وقالوا : « كانت فيه سارية لاتطلع الشمس عليها مدى الدهر الا أياما (٥٩) ويضيف العجيمي (٦٠) على ذلك فيقول : « وقد فقدت هذه السارية بل لم ير ذاكر لها أو متحدث عنها » . وقد ذكر تقي الدين الفاسي (٦١) ان أول من عمر مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالطائف هي السيدة زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر العباسية وانه وجد (أي في القرن التاسع الهجري) بخارج الجدار القبلي من المسجد العباسي حجر مكتوب فيه : (أمرت السيدة أم جعفر بنت أبي الفضل أم ولاة عهد المسلمين أطال الله بقاءها بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف وذلك سنة اثنتين وتسعين وماية) . وبجوار مسجد الرسول قبتان مبنيتان في موضع خيمتي زوجتي الرسول صلى الله عليه وسلم السالفة الاشارة اليهما وهما زينب وأم سلمة رضي الله عنهما وقد ذكرهما المؤرخون حتى القرن السابع للهجرة الا أنهم لم يتعرضوا جميعا لذكر اسم بانيهما (٦٢) .

فلما توفى شهداء غزوة الطائف رضي الله عنهم وهم اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش : سعد بن سعيد بن العاص وعطرفة وعبد الله بن أميه بن المغيرة وعبد الله بن المغيرة وعبد الله بن عامر بن ربيعه والسائب وعبد الله ابنا الحارث بن ربيعة وجليحة بن عبد الله وأربعة من الأنصار وهم : ثابت بن الجذع والحارث بن سهيل بن أبي صعصعة والمنذر ابن عبد الله ورقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد وواحد من ثقيف وهو عروة ابن مسعود الثقفي قتلته ثقيف مسلما ودفن جميعهم عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والقبتين .

فلما توفى ابن العباس سنة ثمان وستين دفن بجوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره كما دفن بجوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره كما دفن محمد بن الحنفية . وقد أقام على قبر ابن العباس الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله في سنة سبع وأربعين وخمسماية بنيانا

وقد اثبت هذا في لوحة من الخشب رآها المرجاني (٦٣) سنة أربع وخمسين وسبعماية . ويتكون بنيان القبر الذي أمر بعمله الخليفة المقتفي لأمر الله من بناء يبلغ طوله ستة أمتار وعرضه بطول القبر عشرة أشبار وقد كسى القبر بخشب الساج .

وقد جدد بناء هذه المقبرة وأقام عليها قبة ، الخليفة العباسي أحمد ابن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد العباسي . وتقع هذه القبة في الركن الأيمن القبلي من المسجد .

وأول من بنى مسجد العباس المجاور لقبته ولمسجد الرسول ولآثار النبوية وكذا مقابر الصحابة وشهداء غزوة الطائف هو الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد ابن المستضيء (٦٤) . ويؤيد ابن فهد (٦٥) هذه الرواية بقوله : « انه شاهد بخط العلامة قاضي الحنيفة رضي الدين ابي حامد محمد بن أحمد بن ضياء القرشي أنه وجد مكتوبا على القبر في المسجد الشريف (يعني مسجد عبد الله بن العباس) ما صورته :

« أنه عمل باسم المستضيء بأمر الله العباسي سنة اثنتين وتسعين وخمسماية » .

وقد جددت أروقة المسجد وجدرانه بعد ذلك ولكنها كانت عمارة ضعيفة ، الأمر الذي جعل الملك المظفر يوسف بن رسول صاحب اليمن يعيد تجديدها وعمارة القبة والمنارة كذلك كما تدل على ذلك الكتابة الموجودة على باب القبة والتي جاء فيها : « أمر بتجديد ما نقب أو (تعب) من هذا المسجد من المنارة وغيرها الملك المظفر في سنة خمس وسبعين وستماية » (٦٦).

ثم توالت يد التجديد والترميم والاضافة الى مسجد عبد الله ابن العباس خلال العصور فقد ذكر العجيمي (٦٧) الذي جمع تاريخ هذا المسجد انه وجد بخط الشيخ محمد الخادم المشهور (بعمامة) أنه في عام سبعة وأربعين بعد الألف أمر أمير الحاج المصري رضوان بك بتبييض قبة سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنهما وبناء المنارة الموجودة الآن على باب المسجد (أي في سنة ١١٣هـ) وبذل في ذلك مالا ، والقائم على ذلك شركس بن عبد الملك الشاووش الطائفي حاكم الطائف والنائب عنه أحمد ابن عيسى أبو حنيش الخادم والمعلم أحمد بن سواكن من اهل مكة وكان الفراغ من عمارتها في شهر ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة .

ثم جدد عمارة المسجد وجدرانه وأروقته الأربعة على ما كان عليه ، الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي سنة احدى وسبعين بعد الألف وكان القائم على تلك العمارة القائد أحمد بن ريحان حاكم الطائف ، وقد كانت القبور قد زادت وكثرت حتى امتلأ نصف صحن المسجد بها ، لذلك أمر الشريف زيد بن محسن ببناء جدار في مؤخر المسجد يفصل بينه وبين القبور ، كما نهى الشريف عن الدفن فيه .

ويقول ابن فهد (٦٨) : « وليس بهذا المسجد جمعة ولا جماعة والظاهر أنهما كانا فيه قديما لوجود المنبرية ويضيف على ذلك فيقول : (فاني لما زرت الطائف في المرة الأولى سنة خمس عشرة وتسعماية لم أر بها جمعة » . ثم زارها مرة ثانية في السنة التي بعدها فوجد الجمعة في غير المسجد الكبير الذي فيه قبر سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك لأنه منفرد عن القرى وسط البرية ويصعب على أهل البلاد التوجه اليه لبعده عن بعضهم وكونهم لا يسمعون النداء فلله الأمر من قبل ومن بعد) . واستمر انقطاع الجمعة بمسجد العباس الى سنة ١٠٥٤هـ حين جاء الى الطائف الشريف زيد بن محسن صاحب مكة في جمع من أهل مكة واعيانها بحيث ضاق عليهم مسجد الجمعة الكائن بقرية السلامة فأمر باقامتها فيه ، فاقيمت في ثالث جمادى الاولى من السنة المذكورة . وفي سنة خمس وستين أمر الشريف زيد الشيخ حنيف الدين المرشدي مفتي مكة بمباشرة خطبة عيد الفطر فباشرها على أسلوب خطباء العيد بمكة وأمر بذلك أيضا في سنة ست وستين القاضي عبد الجواد الحنفي فباشرها كذلك .

وقد أعيد بناء المسجد حديثا في عهد آل سعود على غرار المساجد الجامعة في عواصم المدن الاسلامية ، فشمل رقعة كبيرة احتوت جميع أرض الجبانة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والقبتين وغيرها من المآثر النبوية .

ويتكونالمسجد الآن من صحن مربع مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات عن الجهة الشرقية حيث تشغل جزءا منها مقبرة الصحابة ومكان القبتين وكذا مسجد الرسول . وفي كل من الضلعين الجنوبي والغربي للمسجد ثلاثة أروقة مكونة من دعائم مربعة الشكل تعلوها عقود ذات زوايا . أما الجانب الشمالي للمسجد فيحتوي على ثلاثة عشر رواقا موازية لحائط القبلة مكونة من دعائم تعلوها عقود ذات زوايا ويتوسط هذا الجانب مجاز يقطع الأروقة المستعرضة الى نصفين ويكون عموديا على محراب القبلة .

وفي الضلع الشمالي للمسجد محراب مجوف تكتنفه حنيتان تستعمل اليمنى فيهما منبرا ويصعد اليها بدرج ، أما الثانية فتستعمل دولابا حائطيا لحفظ المصاحف وغيرها من الكتب الدينية ·

والمدخل الرئيسي للمسجد في الضلع الغربي منه وهو عبارة عن باب كبير معقود يكتنفه بابان صغيران معقودان كذلك ، وتتقدم هذا المدخل سقيفة ذات أعمدة · والمسجد مرتفع عن سطح الشارع ·

ولما كان الشارع منحدرا كذلك ، فانه يصعد الى الجامع بدرج يختلف عدد حطاته من مكان الى آخر من أجزاء المسجد ، كما توجد مجموعة من الأبواب غير المدخل الرئيسي في أضلاعه الشرقية والجنوبية والغربية حتى يسهل خروج المصلين منه ·

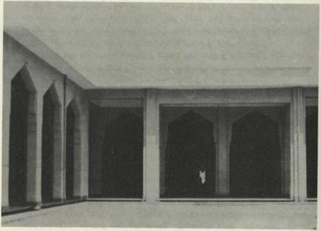

لوحه رقم (٦)
صحن جامع عبد الله بن العباس

الهـــوامش

١ ـ سورة الزخرف آية رقم (٣١) .

٢ ـ سورة النجم آية رقم (١٩) .

٣ ـ ابن الكلبي : الأصنام ص ١٢ ـ ١٥ .

٤ ـ المسعودي : مروج الذهب جـ٢ ص ٥٠ .

٥ ـ الندوي : السيرة النبوية ص ١٠٨ .

٦ ـ سورة سبا آية رقم (٣٤ ، ٣٥) .

٧ ـ حسن بن علي العجيمي : اهداء اللطائف من أخبار الطوائف ص ٢٨ [تحقيق : يحيى محمود ساعاتي] .

٨ ـ الأزرقي : تاريخ مكه جـ٢ ص ٢١٧ .

٩ ـ سورة ابراهيم آية رقم (٣٧) .

١٠ ـ ويحدد علي بن محمد بن علي بن عراق في كتابه نشر اللطائف في قطر الطائف (مخطوطة) الموضع الذي اقتطع منه الطائف بالشام فيقول : وقد روي أن جبريل عليه السلام لما اقتلعها من الشام لاقاه ملك قيل له ميكائيل وأمره أن يحمل بدلها الى مقتلعها ، قال وما احرى هذا الموضع البدل ان يكون المسمى بالغور الذي بحوران من أرض الشام . ويحدد الفيروزبادي في كتاب (فضل الدرر من الخدرة في فضل السلامة على الخبزة) الموضع فيقول (انه منخفض بين القدس وحوران مسيرة ثلاثة أيام في عرض فرسخين) .

١١ ـ يؤيد هذه الرواية العبدري في كتابه (بهجة المنهج في بعض فضائل الطائف ووج (ورقة ٤) ، وابن فهد في كتابه (تحفة اللطائف في فضائل الحبر بن عباس ووج والطائف) ، وابن عراق في كتابه (نشر اللطائف) والعسطلاني في في (المواهب اللدنية) .

١٢ ـ العجيمي : من أخبار الطائف ص ٣٨ .

١٣ ـ تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام ص ٢١٣ .

١٤ ـ الروض الأنف جـ٢ ص ٣١٠ .

١٥ ـ القاموس المحيط جـ٣ ص ١٧٥ .

١٦ ـ العجيمي : من أخبار الطائف ص ٤٠ .

١٧ ـ تحفة اللطائف ص ١١ .

١٨ ـ ابن هشام جـ٢ ص ٥٤٣ .

١٩ ـ ابن كثير جـ٥ ص ٣٤ ، العبدري : بهجة المنهج (ورقة ٤) .

٢٠ ـ ابن عبد البر : الدرر في اختصار المغازي . السير ص ٦٨ .

٢١ ـ والقام الطفيل في بلاده الى عام الخندق ثم قدم في سبعين أو ثمانين رجلا من قومه مسلمين ومازال طفيل بين قومه ودعاهم الى الاسلام فتبعه بعضهم ، ومازال بينهم حتى هاجر بعد غزوة الخندق في أثناء فتح الرسول صلى الله عليه وسلم خيبر ، فقدم عليه بها فيما بين السبعين والثمانين بيتا من قومه وقد أبلى في حروب الردة بلاء حســـــنا وقتل باليمامة شهيدا .

٢٢ ـ ابن فهد : تحفة اللطائف ص ١٠ .

٢٣ ـ يقول ابن أبي الصيف اليمني في كتابه زيارة الطـــائف : ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب من البئر التي وسط القرية .

٢٤ ـ وجدت كتابة على شاهد قبر بمدينة أسوان يرجع الى سنة ٣١هـ . (سعاد ماهر : مدينة أسوان ص ١٣) كما وجدت كتابة على مقياس النيل بجزيرة الروضة بالقاهرة مؤرخ سنة ٢٤٨هـ ، وكان يعتبر الى ما قبل اكتشاف سر الطائف اقدم اثر عمراني مؤرخ .

(Creswell. Vol. II.)

25. Dr. George C. Miles, Curator of the American Numismatic Society of New York (in the Journal) of Near Eastern Studies.

٢٦ ـ وكان هذا الخروج الى الطائف في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة . (ابن هشام جـ٢ ص ٦٠ ، ابن سعد جـ١ ص ١٤١ ، الطبري جـ٢ ص ٣٤٤ ، ابن كثير جـ٣ ص ١٣٥ ، النويري جـ ١٦ ، ص ٢٧٩ ، ابن حزم ص ٦٧ ، ابن سيد الناس جـ١ ص ١٣٤ ، السيرة الحبية جـ ١ ص ٤٧١ .

٢٧ ـ هو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، وكانت عند احد هؤلاء الاخوة امراة من قريش من بني جميح . ولعل ذلك هو السبب في اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للقائهم والحديث اليهم ودعوتهم للاسلام (ابن عبد البر ص ٦٦ هامش «١») .

٢٨ ـ ابن هشام نقلا عن ابن اسحق .

٢٩ ـ ابن سيد الناس نقلا عن موسى بن عقبة .

٣٠ ـ رضخوها : دقوها ورموها .

٣١ ـ الحائط : البستان عليه جدار .

٣٢ ـ ابن العجمي : من اخبار الطائف ص ٨٢ .

٣٣ ـ هي اليوم حي من احياء الطائف . وكانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قرية تعرف بام خبز ، ثم عرفت بعد ذلك باسم قرية الغدام لسكن خدام ضريح سيد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهي في جبل وتحتها مزارع وبساتين وآبار (الزركلي) .

٣٤ ـ تحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووج والطائف تاليف محمد بن عبد العزيز ابن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي . مخطوطة رقم (١٥) في مكتبة الحرم المكي ، ونسخة اخرى بدار الكتب بالقاهرة رقم (٨١٠٣) .

٣٥ ـ القاموس جـ١ ص ٢١٨ ، العجيمي : من اخبار الطائف ص ٨٩ عن تاريخ المرجاني .

٣٦ ـ العبدري : بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج عن مخطوطة (زيارة الطائف) .

٣٧ ـ تاريخ المرجاني .

٣٨ ـ العجمي : في تاريخ الطائف ص ٨٣ (المتوفى سنة ١١١٣هـ) .

٣٩ ـ العجمي : في اخبار الطائف ص ٨٢ .

٤٠ ـ ابن فهد : تحفة الطائف .

٤١ ـ الشيرازي ص ٤٨ ، الاصابة لابن حجر جـ٢ ص ٣٣١ ، المجمع : نور الدين الهيثمي جـ٩ ص ٢٧٦ ، احمد الطبراني باسانيدهما .

٤٢ ـ صحيح البخاري جـ٣ ص ٤٩ (باب غزوة الطائف) .
٤٣ ـ العجيمي : من أخبار الطائف ص ٦٢ .
٤٤ ـ شذرات الذهب جـ١ ص ٧٥ .
٤٥ ـ الاصابة جـ٢ ص ٣٣٢ .

٤٦ ـ ابن كثير : البداية والنهاية جـ٨ ص ٣٠٤ .
٤٧ ـ المرجع السابق جـ ٨ ص ٣٠٣ .
٤٨ ـ مسروق بن الأجدع الهمداني تابعي توفي سنة ٦٣ هـ .
٤٩ ـ الاصابة جـ٢ ص ٣٣٣ ، البداية والنهاية جـ ٨ ص ٣٠٢ .
٥٠ ـ طاووس بن كيسان اليماني : تابعي توفي سنة ١٠٦هـ .
٥١ ـ الاصابة جـ٢ ص ٣٣٣ .

٥٢ ـ عطاء بن أبي رباح : تابعي من رجال الحديث توفي سنة ١١٤هـ .
٥٣ ـ هو ابو بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان القرشي قاضي مكة زمن ابن الزبير توفي سنة ١١٧هـ .
٥٤ ـ أبو رجاء عمران بن ملحان البصري العطاردي تابعي توفي سنة ١٠٥هـ .
٥٥ ـ تذكرة الحفاظ جـ ص ٤٠ .
٥٦ ـ وهي أمة خولة بنت جعفر من ذرية حنفية بن لجين (من وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣١٢) .

٥٧ ـ طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٢ .
٥٨ ـ انظر في غزوة الطائف ابن هشام جـ٤ ص ١٢١ ، الواقدي ص ٤٢٢ ، ابن سعد جـ٢ ص ١١٤ وصحيح مسلم بشرح النووي جـ١٢ ص ١١٢ ، البخاري جـ١٢ ص ١١٢ ، سنن ابن داود جـ٢ ص ٢٨ ، الطبري جـ٣ ص ٨٣ ، ابن حزم ص ٢٤٢ ، ابن سيد الناس جـ٢ ص ٢٠٠ ، النويري جـ ١٧ ص ٣٣٥ ، ابن كثير جـ٤ ص ٣٤٥ .

٥٩ ـ ابن هشام جـ٢ ص ٤٨٣ .
٦٠ ـ العجيمي : من أخبار الطائف ص ٦٠ .
٦١ ـ تقي الدين : شفاء الغرام جـ ص ٩٠ .
٦٢ ـ ابن فهد : تحفة اللطائف ص ٦٧ .

٦٣ ـ العجيمي : في أخبار الطائف ص ٦٧ .
٦٤ ـ تاريخ المرجاني ، تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٩٠ .
٦٥ ـ ابن فهد : تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف ص ٦٥ (توفي ابن فهد سنة ٩٥٤ هـ) .

٦٦ ـ تحفة اللطائف ص ٦٥ .
٦٧ ـ العجيمي : من أخبار الطائف ص ٧٤ .
٦٨ ـ ابن فهد : التحفة ص ٦٧ ، ٦٨ .